أتاء أم هَاء ؟

او

علامة التأنيث في اللغات الساميّة

بقلم حضرة الاب ا.س. مرمرجي الدومنيكي
من اساتذة المعهد الكتابي والاثري الفرنسي في القدس الشريف

دونك ايها القارئ اللبيب مثالاً حسيًا يريك فضل « الأَلْسُنيَّة » او المقابلة الالسنيَّة (Philologie comparée) مطبقة مبادئها على نقطة مهمة في اللغات الساميَّة ، ومفيدة لدراسة النطق البشري او « النُّطْقيَّة » (Linguistique ou science du langage) ألا وهي مسألة علامة التأنيث.

في اصل علامة التأنيث آراء متضاربة ، لا بل متنازعة. منها القول الآتي : « ان حروف التأنيث الموجودة في اللغة العربيَّة هي أثر كلمة كانت تقوم مقامها ، ثم استغني عنها استغناء من يكتفي بالاثر عن الاصل. وهذه الحروف مقطوعة عن كلمة واحدة هي « أُنثَى ». فقولك « اديبة » اصلها : « اديب انثى » فاستغنوا بالتاء او بالهاء عن بقيَّة اللفظ. وقولنا « صفراء » معناه : « اصفر انثى » قالوا في اول الامر « أَصْفَراء » ثم كرهوا ان تكون همزتان في اللفظة الواحدة ؛ فحذفوا الاولى ، وابقوا الثانية التي في الآخر لتقابل الهاء او التاء في سائر الالفاظ. وكذا القول في « الكبرى » فان اصلها : « الاكبرا » فتصرفوا فيها تصرفهم في الصفراء » انتهى.

وهناك قول آخر ، هذا ملخصهُ : « هاء التأنيث والوحدة محوّلة في الاصل عن ضمير الغائب المفرد مذكرًا ومؤنثاً ... والبحث الفلولوجي يُستدلّ منه دلالة واضحة قطعية على انها ضمير الغائبة ، اذا كانت لتأنيث الصفة ؛ وهاء ضمير الغائب او الغائبة ، اذا كانت للوحدة . بيان ذلك : أُلحق بزمن ضمير

الغائبة «هي» فيصير المركب «مؤمنهي» او «مومنهي» ومع الايام، وبدافع الطبع، للاختصار، وحسن اللفظ مع السهولة المتوخاة في اللغة، يتحول المركب على الالسنة الى «مؤمنا» او «مؤمني» او الى ما تولده الإمالة من التوسط بين اخلاص الفتح، واخلاص الكسر. قس على «مؤمنهي»، «حمامهي» او «حمامهو» ... ولا يخفى ان ياء «رومي، زنجي، عربي» وامثالها هي وهاء الوحدة شيء واحد ايضاً ... وهاء التأنيث هذه هي اذن هاء النسبة. وتسهيلاً للفظ، ومنعاً من اللبس، تقلب تاء اذا اضيفت او تحركت في الدرج. وهي ليست، كما يظن البعض، تاء هجاء اجتلبت للتأنيث اعتباطاً، ثم هي تقلب هاء عند الوقف.» انتهى

وانت ترى ان اصحاب كلٍّ من هذين الرأيين في واد عميق. واما اقطاب «الألسنيين: Les philologues comparatistes» و«والنطقيين: Les linguistes» فرأيهم ان امثال هذه النظريات — مع ما يظهر عليها من مسحة الاحتمال — لوعرة المسلك، لا تتعدى حيّز التكهن.

على انك، فضلاً عن هذا، قد لحظت ان هذين القولين، وان اختلفا في اصل علامة التأنيث، الّا انهما متفقان او يكادان يتفقان في ماهيتها. اذ ان الثاني لا يسميها الّا «هاء التأنيث» والاول يدعوها «تاء او هاء التأنيث» واما نحن فنقصد ان نحصر البحث في طور نجد فيه الغات آثارًا شاهدة، نستخلص منها براهين غير قائمة على حرف هاء، نجعل محور المقال يدور، لا على اصل علامة التأنيث، بل على حقيقتها وماهيتها؛ لا في اللغة العربية وحسب، بل في جميع الالسنة السامية. ولتسهيل العمل، نرى من اللازم ان نتقصى اثر هذه العلامة في لسان من ألسن بني سام، وعند ذلك يتبين ما يمكننا بسطه من الادلة المثبتة ارجحية التاء ام الهاء.

هذا وغير خافٍ على من له المام «بالألسنية السامية» ان اشهر واهم لغات هذه الطائفة هي العربية، والعبرية، والارمية، والحبشية، والاكدية. الّا اننا عند البحث، ناخذ بطرق باب اعرقها قدماً، لا من حيث الاصول اللغوية، بل من جهة الآثار الادبية؛ اذ لا مشاحة في ان للأكدية حق التقدم، في ذا

الشأن ، على اخواتها ؛ تليها العبرية ، فالارمية ، فالحبشية ، فالعربية ، التي يظهر انها ، من حيث التشكك بالقديم ، اولاهنّ والشبههنّ بالاصل(١) .

* * *

علامة التأنيث في الاكدية

في الاكدية شقّان : مذكر ومؤنث . واما الجامدات ، والاسماء المعنوية ، فيُستعمل لها المؤنث ؛ وعلامته هي « أُتو ، وأُتو » مثلًا : « كِيرتو » = الكلية . « شَرُوتو » = الملك . واذا دخلت هذه العلامة على الاسم او الصفة ، تسقط حركة الحرف الثاني مثلًا : « كَلَابُو » = كلب . « كَلَبْتُو » = كلبة . او ان حركتها تضمحل ، فتصبح هي « تو » اذا بقيت حركة الحرف الثاني . مثلًا : « رَبْشُو » = واسع ، « رَبْشتو » = واسعة . « شَپْلُو » = سافل ، « شَپْلِيتُو » = سافلة . « مَخْرُو » = مقابل ، « مَخْرِيتُو » = مقابلة .

وعلامة التأنيث في الجمع هي التاء ايضاً ، كما في المفرد . والمفردات المنتهية بـ « أُتو ، وإيتو » تجمع بـ « آتي وآتي ، âté et âti » نحو « كَلْبُتو » تُجمع « كَلْبَاتي Kalbâté » ، « رَبْشُتو » تُجمع « رَبْشَاتي Rapšâté » ، شَپْلِيتُو « شَپْلَاتي Šaplâté » .

---

(١) ليشقّ على حبّنا لاوطاننا العزيزة ان نرى بعض الادباء — وحاشانا من التعميم ؛ فان هناك علماء اجلاء ، يتشرّفون بالعلم ، ويشرّفونه ؛ وهم حجة بسعة معارفهم ، وقدوة برفيع شمائلهم — اجل ! ليشقّ علينا ان نجد بعض حملة الاقلام ، المتنزهين للآداب العربية ، يحطون من قدر علمهم ومقامهم ، بخلّة شائنة لسمتهم ، الا وهي عدم مراعاتهم « للآداب الاجتماعية . » فانك ، ان دافعت عن رأيك ، خلافاً لرأيهم ، وجادلتهم جدالًا علميًّا ، مطابقاً لاصول المناظرة ومشيماً بروح النجدة والمجاملة ؛ فلا تشاهدهم يتفنون تجاهك ، مقابلين لعانك بلعانك ، وادلتك بادلّة ؛ بل يجاهرونك من الوراء ، شأن الجبناء ، ويطعنونك شأن ضعاف الحجة ، بسلاح « الشتم والاهانة . » ولذا ، فصيانةً لشرف العلم ، من الاستهتار ، في ذا الميدان ، الذي نجلّ قلمنا عن مجاراة قلمهم فيه ، نرانا مع احترامنا لذوي الاقدار ، واقتدائنا في الرأي ام خالفونا ، نعدل عن طريقة الجدل المألوفة ، ونجتزئ عند البحث ، اثباتاً لقضيّة ، او دفاعاً عن نظرية ، بنقط البراهين ، متحاشين عن ذكر الاشخاص ؛ اللهم الّا من توسّم فيهم ، لدى المجادلة ، سلامة الذوق ، ورحابة الصدر ، وكرامة الشيم ، مقرونة بغزارة المادّة العلمية .

علامة التأنيث في العبرية

ليس في العبرية ، كما في اخواتها السامية ، الا شأنان : المذكّر ، والمؤنّث . وللجامدات ، والاسماء المعنوية يُستعمل إما المذكر واما المؤنث . والشقّ المؤنث ، في العبرية الحالية ، علامتان ، هما اكثر شيوعاً من غيرهما : اي التاء والهاء ، في الاسماء والصفات . نحو «طوبا» من «طوب» ومعناها صالحة ، من صُلُح . «عَلَمَه من عَلِيم ʿêlêm» = غلام

الّا ان اهم هاتين العلامتين ، والفارقة في القدم ، لا بل الوحيدة في سالف الادهار ، هي «التاء» ودونك طريقة استعمالها ، في يومنا هذا :

١ً تثبت في كثير من الاسماء المنتهية بحركة ، نحو «يهودي، يهوديت» اي يهوديّ ، يهودية

٢ً في عدد وافر من الاسماء المنتهية بحرف صائت (voyelle) . واذ ذاك يلين اللفظ بادخال حركة بين الحرف الاخير ، وعلامة التأنيث ، وهي الفتحة اذا كان الحرف حلقيًّا ، والربعة او الإمالة ، اذا كان غيره . نحو «روحيم ، Rôḥêm ، روحمت Rôḥmat» اي مُحِبّ ، مُحبّة . «قوطل ، Qôṭel ، قوطلت Qôṭêlet» = قاتِل ، قاتلة

٣ً في الغالب ، تسبق هذه التاء فتحة تجلب النبرة اليها . وتجد هذه التاء في بعض اسماء الجنس . نحو : «بَرَقَتْ» = زمرّد . وكثيرًا ما تشبع الفتحة السابقة لهذه التاء نحو : «مخاروت ، Maḥarôt» = صباح

٤ً بيد ان هذه التاء تظهر ، اجلى ظهور ، في الاضافة ، اعني حين اتصالها بالاسم التابع ، نحو : «ملكه = مَلِكَة» . «مَلكتْ شبا = ملكة سبأ»

٥ً اما الاسماء المطلقة فقد تضاءل فيها ظهور هذه التاء ، رويدًا رويدًا ، الى ان اضمحلت . وبقيت طويلة الفتحة السابقة لها ، واضحت مفتوحة المقطع ؛ ودلالةً على هذا الفتح المشبع ، استعملت لها «الهاء» كعلامة كتابية

* * *

علامة التأنيث في الارمية او السريانية

في الارمية مذكر ومؤنث ؛ ويستخدم كل منهما ايضاً للجامدات ، والمعنويات . ومن الاسماء ما يستوي فيه المذكر والمؤنث ، ومنها ما هو مؤنث دون علامة ، في المفرد ، والجمع

اما علامة التأنيث فهي، على وجه الاطلاق ، «التاء» الزائدة. نحو «مَلكا، مَلكْتَا» اي ملك ، ملكة. «كَلبَا ، كَلبْتَا ، كَلبَاتَا» =كلب ، كلبة ، كلبات. وتبقى تاء التأنيث ، في الاسم المطلق ، نحو «مَلكتَا» ؛ وفي جزم الاضافة ، مثلاً: «شَاعَتْ مَوتَا» = ساعة الموت. واما جزم التنكير ، فتُحذف فيه التاء ، وتبقى الالف. نحو «مِلتَا ، مِلَا» = كلمة ؛ «شَعتَا ، شَاعَا» = ساعة

* * *

علامة التأنيث في الحبشية

في هذه اللغة ثلاثة اجناس : المذكر ، والمؤنث ، والمشترك . ويعرف الجنس عادةً من معنى اللفظة . وعلامة التأنيث هي «التاء» الساكنة ، يتبعها فتحة قصيرة ؛ الا ان استعمالها ليس بثابت ، وثمة شذوذ كثيرة. وكذا الشان في الصفات ، فان علامة تأنيثها «التاء» في جميع الصيغ او تكاد . وهاك بعض الامثلة على ذلك :

	مذكّر	مؤنّث
صفة :	سَنَاي(Śanây) = جميل ، سني	سَنَاوَتْ (Śanâwêt) = سنية
اسم فاعل :	نَگَاشي (Nagâśê) = مالك	نَگَاشيتْ(Nagâśêt)=مالكة
اسم مفعول:	گِبُري (Gebûrê) = مصنوع	گِبَريَتْ(Gebêrêt)= مصنوعة

* * *

علامة التأنيث في العربية

في العربية شأن: المذكر والمؤنث ؛ واما الاسماء الجامدة ، والمعنوية، فتلحق بالمذكر ، او بالمؤنث سماعاً : وفيها المؤنث بالمعنى ، والمؤنث باللامة . وعلامة التأنيث المستعملة اكثر من غيرها هي «التاء» ، ويلحقوا الالف الممدودة ،

والالف المقصورة ؛ وهما قليلتا الورود . ودونك مـا جاء في كتاب ابن عقيل لالفية ابن مالك ، في ذا الشأن ، لتقف على حقيقة الأمر :

« علامةُ التـأنيث تاء او ألفْ ، وفي اسامٍ قدّروا التا ، كالكتف »

«اصل الاسم ان يكونَ مذكرًا ، والتأنيث فرع عن التـذكير . ولكون التذكير هو الاصل ، استغنى الاسم المذكر عن علامة تدلّ على التذكير . ولكون التأنيث فرعاً عن التذكير ، افتقر الى علامة تدلّ عليه ، وهي «التاء» والالف المقصورة او الممدودة . «والتاء» اكثر استعمالًا من الالف ؛ ولذلك قُدّرت في بعض الاسماء ، كعين ، وكتف . ويستدل على تأنيثها بالضمير العـائد اليها ؛ نحو الكتف نهشتُها ، والعين كحلتُها . »

« في الوقف تا تأنيثٍ الاسم ما جُعلْ ان لم يكن بساكنٍ مَحَّ وُصِلْ »

« اذا وقف على ما فيه تاء التأنيث ؛ فان كان فعلًا ، وقف عليه بالتاء ؛ نحو هند قامتْ ؛ وان كان اسماً ، فان كان مفردًا ، فلا يخلو إما ان يكون ما قبلها ساكناً صحيحاً ، او لا ؛ فان كان ما قبلها ساكناً صحيحاً ، وقف عليها بالتاء ؛ نحو بنتْ ، واختْ ؛ واذا كان غير ذلـك ، وقف عليها بالهاء ، نحو فاطمه . وان كان جمعاً او شبهه وُقف عليه بالتاء نحو هنداتْ ، وهيهاتْ . وقل الوقف على المفرد بالتاء ؛ نحو : فاطمت ، وعلى جمـع التصحيح وشبهه بالهاء ؛ نحو : هنداه وهيهاه . » انتهى

وقال سيبويه : « تاء التأنيث تدخل على المصادر المجرّدة وذوات الزوائد ، دخولًا مطردًا ؛ فهي تدلّ على المرة ، كضربة ، واجتماعـة . واذا لحقت تاء التأنيث آخر الفعل ، كتبت بصورتها ، كضربتْ ، ويقال لها المبسوطة . واذا لحقت آخر الاسم ، فان كان مفردًا ، كتبت هاء منقوطة ، كضاربة ؛ ويقـال لها المربوطة . وان كان جمعاً ، فان كان سالمًا ، كتبت مبسوطـة ، كضاربات ؛ وان كان مكسورًا ، كتبت مربوطة ، كقضاة . » انتهى

* * *

تحقيقات السنية

بعد ان استمددنا من المصادر النحوية ، لجميع اللغات السامية ، ما بـه تمكنا من استطلاع كنه البحث ، يجدر بنـا الآن ان نلخص بقولنا ان علامة التأنيث في هذه اللغات هي «التاء» وان كان في بعضها ، مع هذه التاء ، غير علامة . على ان التاء هي الوحيدة في الحبشية ، والاكدية ، دون غيرهـا من العلامات . ونحن اذا توغلنا في الفحص والاستقصاء ، رأينا ان العلامة الاصلية هي «التاء» حتى في الالسنة التي فيها غير التاء من العلامات . واثبت برهان لذلك نستخرجه من الاكدية العريقة آثارها الادبية ، والتي نجد في طريقـة كتابتها المسمارية المقطعية ، افضل وسيلة للوقوف على حالة اللغة في الازمان القاصيـة عنا قروناً تُعدّ بالعشرات . وزيادة في الايضاح نعلمك ان الاكدية ، كالعربية الفصحى ، لغة معربة . وغير خاف عليك ان الاعراب او تحريك الحرف الاخير من الكلمة يلحق اواخر الاسماء والصفات ، الا اذا كانت مضافة . هذا في اللسان الاكدي ، خلافاً للعربي القرشي ؛ فـان الاعراب يثبت فيه حتى اذا كان الاسم او الصفة مضافة . وحركات الاعراب ثلاث ، وهي الحركات السامية الاصلية ، اي الضم ، والفتح ، والكسر . فالضم يدلّ على الرفع ، والفتح على النصب ، والكسر على الخفض . وهذا الاعراب جارٍ في الكتابـة العربية على طريقتين : اعراب بالحروف ، وهو قليل ؛ واعراب بالحركات ، اي بالعلامات غير الداخلة في مادّة الكلمة ، وهو كثير ؛ وله قواعد مطردة ، لا تحتـمل الّا ما ندر من الشذوذ . اما في اللغة الاكدية ، فهو مَقطَعيّ ، طبقاً لطبيعة الخط المسماري القائم على العلامات المتكوّن من كل منها مقطـع . فالحركة الاعرابية متضمّنة في المقطع الاخير من اللفظة ، المؤلفة من حرف وحركة ، او من حرف محرّك وحرف ساكن . وللكتابة المسمارية وآثارها ، في هذا الصدد ، فضل عظيم على بقية الكتابات والآثار السامية الابجدية ، الخالية من الحركات ، اللهمّ الّا الحبشية — ويكاد يُطلق ذلك على المندائية — القائمة على «ابجدية مقطعية» اي ان كل حرف من حروف هجائها متصلة به حركة من الحركات السبع المستعملة

في هذه اللغة . على ان الكتابة الحبشية ، مع ما فيها من هذه المحسنات ، الحديثة العهد ، وان هي الا وليدة الخط السبئي ، وليست بخط وقتي (écriture épigraphique)

هذا وعلى حين نرى الإعرابَ في العربية ، سواء كان بالحروف ام بالحركات مطرد القواعد ، منتظم الاصول ، مقبولاً نظرياً ، معمولاً به فعلاً ، تعتبر مخالفته غلطاً فاحشاً ، في الكلام والكتابة ؛ نجد ، بعكس ذلك ، الإعراب في الاكدية — مهما عرقت في القدم آثارها ، حتى اذا صعدنا عدة الاف من السنين — فاننا نشاهده مضطرباً ، مختلفاً ، يكاد يخلو من ضابط . وبفعل هذا الاختلال ترى الفتح مستعملاً بدل الضمّ ، والكسر عوض الفتح . الّا انه مهما يكن من هذا الاضطراب ، اضطراب احوال الإعراب ، في مختلف عصور اللغة الاكدية ، فاننا نلاحظ امراً وهو ان الاعراب يبطل في حالة الاضافة ، فيُفقد الكلمة حركتها النهائية . مثال ذلك الالفاظ الآتية اعراباً ، واضافةً : «أبيلُو»=ابن ؛ «شَرُّو»=ملك ؛ «مَاتُو»=بلد ؛ هذا لفظها اعراباً ، فتضحي عند الاضافة ، بفعل حذف علامة الرفع منها ، وهي «ـُو» واسكان الحرف الاخير ، «أبيلْ شَرْ مَاتْ شور» . ومعرّبها : ابنُ ملكِ بلدِ أشور

على ان النقطة الجوهرية المهمة في بحثنا هي ان الكلمة المنتهية بالتاء ، تاء التأنيث ، اذا فقدت حركتها الاخيرة ، بموجب قاعدة الاضافة ، فتاؤها تبقى ساكنة ، ولا تحذف ، او تتحوّل الى غير حرف . مثال ذلك : «شَرُّوتُو»= مُلك او مملكة ؛ فاذا اضفتها الى بلد أشور ، قلت : «شَرُّوتْ مَاتْ أشور» اعني : مملكةُ بلد اشور . «ايكَلُّو شُوبَتْ شَرُّوتيشو . Ekallu Šûbat Šarrutišu) = القصرُ مَقرُ مُلكه» . ومن هذا كله يظهر ، ظهور الشمس في رائعة النهار ، ان «التاء» هي ، دون غيرها ، علامة التأنيث ، في اللغة الاكدية ، اعني منذ نحو ستة الاف سنة ، وهو اقدم اعصر التاريخ القديم

على اننا نرى في العبرية ، والارمية ، والعربية ، بجانب «التاء» الكثيرة الاستعمال ، علامات اخرى للتأنيث ، وهي الهاء ، والالف الممدودة ، والالف المقصورة . فما داعي ذلك ؟ قبل الجواب عليه ، نسرد لك كلمة في خصوص

مادة لغوية ، وهي ما يدعى « بالحركات المشبعة » ، او « علامات الكتابة » ، او ، كما يقول العبريون ، «امهات القراءة »

فاعلم ، حرسك الله ، ان الابجدية السامية لا تقوم سوى على الحروف الصامتة (consonnes) ، او ما نسميه حروفاً ، على وجه الاطلاق ؛ اي انها خالية من الحروف الصائتة او الحركات . وقد سبق التبيان ان الحركات السامية الاصلية ليست الا ثلاثاً وهي الضم ، والفتح ، والكسر . على ان في هذه الطائفة من اللغات ، كما هو الشان في اللغات عامة ، يوجد حركات مدغمة (diphtongues) وهي ما تركب من الفتح والواو ، والفتح والياء ، كقولك ، في العربية ، « لَوْ ، كَيْ » غير انه بفعل سنّة طلب الخفة ، قد كسرت حدة هذه الحركة المدغمة ، فنتج عنها حركتان فرعيتان ، وهما ما يدعى في الارمية « الزلام ، والرواح » وفي العبرية « شغول ، وخولم » وفي العربية « التفخيم ، والامالة » وفي الفرنجية يقابلهما حرف (o و ê)

واذ كانت قد اخذت المدغمات تُلفظ ، يتوالي الازمان ، كالمفردات ، اعتبرت الواو والياء ، في مثل هذه الحال ، لا كحرف هجائي ، او صامت (consonne) ، بل كعلامة كتابية ، او قل كحرف قائم مقام الحركة الناتجة من ادغام الحركتين المزدوجتين . وهذا كان الداعي الاولي لاستعمال بعض الحروف الابجدية كعلامات للحركات ، او وسائل للقراءة ؛ مما كان في امكان الناس ان يستخدموا غيره من العلامات ، غير الشبيهة بهذه ، دون تاثير في الكلام ، او في الكتابة ؛ كما صنعوا بعد ذلك ، عند استنباطهم النقط والحركات . واذ كان هذان الحرفان غير كافيين للدلالة ، كتابةً ، على الحركات الطويلة ، عمد القومُ ، تدريجاً ، الى حرفين آخرين ، وهما « الف ، والهاء » . واما اختيار هذه الاحرف دون غيرها ، لتلك الغاية ، فذلك لما هي عليه من الليونة ، والابهام في الصوت ، مما جعلها قريبة من الحركات . على ان كلًّا من هذه الاحرف استُعمل لاشباع حركات متعددة . فالواو تُكتب للدلالة على الضم المشبع ، والتفخيم الطويل ، سواء كان ذلك في وسط الكلمة او في آخرها . والياء تُتخذ لكتابة الكسر المشبع ، والامالة الطويلة . أما الهاء ، فاذ كان

لفظها حلقياً ، وكان الحلقي ميالاً الى الفتح ، في كل اللغات السامية ، لتستعمل للفتح الطويل ، وللتفخيم المطلق ثم للتفخيم الناجم عن الفتح المشبع . وفضلاً عن هذا تدلّ الهاء ، احياناً ، على اشباع الامالة . اما الالف ، فاذ كانت هي والهاء من مخرج واحد ، اي حلقية ، أستُعملتْ لما أستُعملت له الهاء عينها

وهذه الطريقة ، طريقة اتخاذ بعض الحروف الهجائية بمنزلة علامات الكتابة او امهات للقراءة ، فقد كانت اكثر شيوعاً عند السريان منها عند العبريين ، ودخلت بعدهم عند العرب . الّا ان استعمالها في الرقم المؤرّخة حول صدر التاريخ الميلادي لهو اقل شيوعاً مما في المخطوطات السريانية . اما الكتابة التدمرية (القرن الاول للميلاد) فالحركات القصيرة لا تكاد تذكر فيها . وهذه الحروف المستعملة علامات وصلت الى تطوّرها الاخير في القرن الخامس ، وهو اقدم عهد تصل اليه المخطوطات . ومنذ ذاك القرن شرع القوم في اتخاذ النقط دون اهمال الحروف

فاذا عرفت هذا نقول : ان «التاء» كانت شائعة في العبرية كعلامة خاصة للتأنيث ، ويجدر بنا القول انها كانت العلامة الوحيدة . اما اليوم فنرى ، في هذه اللغة ، ان الاسماء المطلقة تؤنث بهاء . فما هذه الهاء ؟ وما هو مسوّغ استعمالها ؟ فعلى هذا نجيب انه ظهر لك ان هذه الحروف اللينة اي الالف ، والواو ، والياء ، والهاء ، اصلها حروف هجاء ، فاستعملت علامات للحركات . فالهاء اذن هاءان : هاء حرفٌ ، وهاء ليست بحرف . وللتمييز بينهما قد استعمل العبريون نقطة يضعونها في وسط الهاء تدل على كونها حرفاً صامتاً ، وتلفظ لفظها الطبيعي . وهذه النقطة تدعى في نحوهم «مَپيق» اي المُخرج لفظ الهاء . واما الهاء غير المنقطة فليست سوى علامة لاشباع الفتح . ولذا يجب ان تعلم ان الاسماء المطلقة في العبرية لم تكن الّا التاء علامة لمؤنثها . الّا انها قد تضاءل لفظها شيئاً فشيئاً ، كما رأينا ، فحذفت . واذ كانت الحركة السابقة لها فتحة مشبعة ، استعملت بعدها الهاء ، لا كحرف هجاء ، بل كعلامة كتابية . فمن هنا يظهر خطأ الراي القائل بان الهاء مع الفتحة المشبعة هي العلامة الاصلية المؤنث في العبرية ، وان التاء مع الفتحة السابقة صادرة عنها . ولك مثال على

ذهاب لفظ التاء النهائية في غير اللغات السامية كالفرنسية ، فانك ترى ذلك محققاً في الكلمات التالية : (candidat. mandat, contrat, apparat) واصلها من الالفاظ اللاتينية (candidatus, mandatum, contractum. apparatus)

اما الارمية ، فانا نجد فيها التاء علامة عامة للتأنيث ، الا في جزم التنكير ، فان الكلمة المؤنثة تنتهي فيه بالالف . بيد ان هذه الالف ، كالهاء العبرية المذكورة اعلاه ، ليست علامة التأنيث . لان العلامة الحقيقية للتأنيث ، وهي التاء ، قد حذفت ، كما حذفت التاء في العبرية . وما الالف هنا الا علامة لاشباع الحركة . وقد ظهر لك ذلك من المثال المورد آنفاً وهو «ملتا، ملّا» = كلمة

بقي علينا النظر فيما نجده في اللغة العربية ، مما دعاه النحاة ، قديماً وحديثاً ، «هاء التأنيث» فهل هذه الهاء هي حقيقةً هاء التأنيث ؟ رأينا من كلام سيبويه وابن مالك ، وابن عقيل ، ان العلامة الخاصة هي «التاء» وانها عند الوقف تُكتب بصورة الهاء ، في الالفاظ المفردة لا غير . والحقيقة انها تبقى تاء غير ملفوظة . واذ كانت التاء المربوطة ، قبل اختراع الاعجام شبيهة ، كتابةً ، بالهاء ، دعوها من باب المماثلة الصورية «هاء» لكنها ليست بشيء من الهاء . فلا يسوغ اذن ، من باب التدقيق ، ان تدعى «هاء التأنيث» اذ ليست في العربية كما في اللغات السامية جميعها «هاء التأنيث» . واذا كان الأمر كذلك ظهر ان الصواب في العربية في جانب البصريين ومن تابعهم ، خلافاً للكوفيين ، اي ان «التاء هي الاصل في التأنيث»

بعد هذا الذي سبق من مقدمات ، وتحقيقات ، ونتائج ، مستندة الى اصول «الألسنية السامية» يليق بنا ان نجيب على السؤال الذي عنونا به مقالنا وهو : «أتاء ام هاء ؟» فنقول : «تاء» ولا هاء ، علامة التأنيث الاصلية ، القديمة ، في الالسنة السامية قاطبة ، ومن ثم في اللغة السامية الام ، مصدر هذه اللغات الاخوات ، وبذلك نظن ان قد ثبت صدق كلامنا عن فضل «الالسنة السامية» وفوائدها الجمة العائدة على كل من هذه اللغات ، ولاسيما على العربية

وهنا ندع القارئ ان كان من اهل الاختصاص ، يحكم في الآراء التي وقف عليها في هذا البحث ، والسلام على من اتبع الهدى